والمكان الروائي، بوصفه ملفوظاً لغوياً، حكائياً، خالصاً، لا يوجد، ولا يمكن له أن يوجد، الا من خلال اللغة التي يتوسلها السرد، وهو بالتالي مشروط بمقتضيات السرد وآليات انبثاقه وتواصله، التي أوضحناها، إنه مشروط باللغة التي تعطيه حضوره الحسي والتصوري، وباللغة ـ السرد تتحدد آليات انبثاقه ووجهة النظر التي نتعرف عليه من خلالها، أي تتحدد بنيته، يتحدد مدلوله، وتتحدد هويته في صلتها بإجابة الانسان الفلسطيني عن سؤال الهوية والطريق؛ سؤال الهوية والمجال الحيوي لنهوضها ونمائها وانجاز تحولاتها الممكنة في التاريخ.

ولقد أعطت القراءات المتتالية لروايات كنفاني، والاجراءات المنهجية الطويلة، والمعقّدة، التي حكمها منهج استقرائي، بحثاً عن بنية المكان الروائي، وتجلياتها المختلفة، وآليات انبثاقها وعلاقاتها المتشابكة مع مكوّنات النص الروائي، والسياق الروائي الخاص، وحضورها المضيء داخل النسيج الروائي وخيوطه المتشابكة، استنتاجاً مؤداه أن المكان في روايات غسان كنفاني لا يوجد الا من خلال التضاد بين فكرتين ـ مجالين هما: الوطن والمنفى، ولا يقع الا في احدهما أو في المسافة التي توغل بعيداً في المنفى، أو تكون بمثابة منفى داخل الوطن، من حيث صلة المكان الذي توجد فيه الشخصية ـ داخل الوطن ـ بابتعاده الجغرافي والنفسي والحياتي عن مسقط الرأس، وتناقضه مع قيم الحماية والألفة والاستقرار والتواصل التاريخي، والجذوري، التي كانت تتوفّر في أرجاء المدينة أو القرية التي اقتلعت هذه الشخصية أو تلك منها، وداخل البيت الذي أجبرت على الرحيل عنه.

إن وقوع الأمكنة الروائية في روايات كنفاني في مركزين مكانيين متعارضين، وفي المسافة بينهما مهما اقتربت، أو أوغلت في البعد عن أي من المركزين، يضعنا على مقربة من نظرية الحدّ كما هي عند يوري لوتمان، حيث يقوم الحدّ كصفة طوبولوجية بتقسيم المكان الروائي الى مكانين غير متقاطعين، يتوفر كل منهما على استقلاله، ولا منفذ لأحدهما على الآخر، لأنهما ينفصلان، بموجب الحدّ، وفق مبدأ أساسي هو انعدام قابلية الاختراق. غير أن وجود أبطال (شخصيات روائية) يقومون باختراق هذا المكان المحرّم أو ذاك، بموجب انتهاك لمبدأ الحدّ ـ الذي هو أشبه بقانون التّابو كما نرى ـ يؤدي الى امكانية استمرار السرد الروائي، ويخلق التشويق، وتوتّر الحدث، ويجعل من عملية اختراق التّابو (الحواجز والحدود) عملية دالة ذات مغزى. ونظراً لامكانية وجود أبطال يتباينون في انتماءاتهم الاجتماعية، والمكانية، داخل المكان الواحد، أي داخل هذا القطب أو ذاك من أطراف التضاد الثنائي، وداخل مسافة الحد التي تفصل بين المكانين، فإننا نكون بإزاء بنية مكانية أكثر تعقيداً، أي نكون بإزاء جملة من الانشطارات المتضادة داخل المكان ـ القطب الواحد، وتظل هذه الانشطارات ذات دلالة اجتماعية أو ايديولوجية أو سياسية، في غالب الاحيان.

وفي ضوء الاستنتاج الذي قدّمناه، والمعطيات التي وفّرتها نظرية الحدّ، وما أعطيناه لها من تكييف يتواءم مع مقتضيات بحثنا النابعة من النصوص الروائية التي نقوم بدراستها، وفي تناغم مع ما أجريناه من تحليل للروايات وفق المقولات التي تعاملنا معها، يكون بمقدورنا أن نذهب إلى بناء نموذج شامل للبنية المكانية التي تتوفّر عليها الروايات الاربع. وجليّ، في ضوء ما سبق، أننا بإزاء ثلاثة مجالات تنتمي اليها الأماكن الروائية في هذه الروايات، وهي المجالات التي يشكّل اثنان منها طرفان متضادّان هما: الوطن والمنفى، ثم المجال الواقع بينهما والذي هو الحدّ، أو مجال أماكن المسافة الفاصلة بين القطبين، غير اننا نلتقي في روايات كنفاني بأماكن تنتمي الى الحدّ تقع في المسافة بين المنفى ومنفى المنفى، وأخرى تقع في المسافة بين مكان داخل الوطن، هو مسقط الرأس، ومكان آخر داخل الوطن، هو منفى في الوطن، أو هكذا يجري النظر إليه من قبل الشخصيات، وهو ما